الـهـروب مـن جـمـهـوريـة كـاتم الـصـوت

عماد حسن

مؤخراً استطاع هادي المهدي الهروب من مصيره إلى الأبد، ذلك الذي ظل يلاحقه بإلحاح طوال سنين عمره القصير. أربعة وأربعون عاماً أو أكثر قليلاً لكنها، على كل حال، لاتكفي لتأمل ما حدث أو اللحاق بأعوام هائمة كقطيع غاب راعيه.

لم يعن شيئاً من كل ما فعله في تلك الحياة القصيرة والمليئة بأحلام ورموز لم يحتملها مصيره وربما لم نحتملها نحن، نحن الذين شهدنا هروبه الأسطوري المبكر. هرب الرجل من مصيره المولود معه في ذات اللحظة التي جاء بها إلى الحياة. الصدفة وحدها من قررت مصيره الحزين والملتبس، مصيره الجغرافي أكثر من أي شيء آخر، البقعة الداكنة الملطخة بزيوت الأرض والتي تسمى العراق.

كثرة الباكين تقلل من سطوة الموت وتجعله مقبولاً، لكنها تزيد من غموضه والتباسه وتحيل الكتابة إلى ثقل بغيض دون طائل. تصبح ما يشبه تدوين يوميات على سطح بركة منسية ستجف بعد أيام أو محاولة إرسال مراث لعوالم غير موجودة في أي مكان. وهذه هي تماماً مزحة الموت الأبدية. ففي كل مرة ندعي فيها فهمه، سرعان مايطل علينا ساخراً بليغاً مردداً مع القديس أغسطين: بأن كل موت هو أول وكل موت هو فريد. ولد هادي المهدي وفي دمه يجري اسم سافحه وعلى مؤخرة رأسه، حيث مرقت الرصاصتان الساختنان وحيث لم ننتبه لها كثيراً لأننا مقصيون عن الغيب، كُتب اسم من كانت له قدرة اجتراح موت صامت ووحشي. لذا كان يسعى دون علم منه وبغفلة منا جميعاً، إلى اجتراح أسبابه، المنطقية جداً في ذهن غائب ومتعال، للعودة إلى تلك النقطة التي سينطلق منها للعدم.

مَنْ منكم شاهد الموت وهو يتبع خطوات هادي، السندباد البري الذي اعتقد بطفولة الحياة فعاد ليواجه بلوغ الموت؟ كم منكم بإمكانه أن يشهد بأنه شاهد، قبل يومه هذا، رجلاً ميتاً يمشي ويأكل ويضحك ويحب ويذهب إلى احتجاجه الأسبوعي ومن ثم يعود لينام، مطمئناً، ربما، في ذات المكان الذي سَيُسفح عليه دمه ذات يوم. لماذا يبدو الموت محايثاً وعصياً على الفهم إلى هذا الحد؟

حسناً ياارجل لماذا تورطنا بموتك؟ لماذا تولعنا بعبثك الذي طال حتى الموت؟

صامت هو الآخر كما الموت، كما الأرض التي عانقها لحظة سقوطه المدوّي، كما الآلة الصامتة التي اختطفت ضجيج الكون من رأسه، كما اللقطة التي تجمدت في عقله قبل أن يغمض عينيه للمرة الأخيرة. ربما لم يغمض عينيه، ربما بقيتا مفتوحتين على اتساعهما لكن المؤكد إن الكون قد جمد بعدها.

ويبدو أن الصمت هو الشيء الوحيد الذي اتفق عليه الثلاثة، أقصد هادي وقاتلَيه، الرجل الذي أطلق النار والمسَدس الذي أطلق النار هو الآخر. الجميع صامتون، هادي الذي ذهب إلى أقصى الكون بزفرة مسدس والمسدس النائم في دُرج مظلم في انتظار رأس أخرى يرصدها الرجل والرجل النائم في أحضان زوجته الجميلة التي يعشقها.

هل يمكن لقاتل هادي أن يعشق؟ إذا كان نعم فلماذا قتله إذن؟

آه.. هادي لو كان للأسئلة صمت قاتليك!!

هل تعرف أن السكين هي أداة القتل المُثلى طوال تاريخ البشرية المخيف! مثاليتها تكمن في صمتها وفي إتقانها للغيلة. لذالك وطوال الأيام الأخيرة التي لم تعد فيها على سطح هذه الأرض، فكرت أن اغتيالك كان بسكين. ربما بسكين أوتوماتيكية صنعت بمصنع نظيف ولامع يعمل فيه آلاف الرجال الذين يريدون إطعام أولادهم الصغار، كأولادك الذين تركتهم للمجهول، أهنالك تناقض؟ لايهم.. لنعد إلى موتك النظيف. أقول نظيفاً لأنك لم تقاومهم ولم تراوغ طعنات رصاصهم. هل على المثقف مراوغة الموت؟ هل يستطيع؟

ربما فكر الرجل الذي قتلك، بيُسر موتك وسلاستك وأنت تُقْتل (ألم يقل أحدهم بأنك كنت تهم بتضييف قاتلك لأنه أحد أصدقائك؟). وربما طلب من ربه أن يكون كل ضحاياه من الحالمين أمثالك. وربما صلى ركعتين شكر لآله يبتسم له الآن وهو يراه يسوق إليه الأضاحي طمعاً في مرضاته. وربما كان طيباً ومُحتسباً يقوم الليل ويصوم رمضان ويصلي خمساً في اليوم ولم يرد إلا نصرة أحزاب الله الكثيرة والمنتشرة في هواء البلاد.

مَنْ يدري يا هادي.. مَنْ يدري؟!

بعدها انسحبوا إلى مناطقهم الخضراء الكثيرة وتركوك طافيا في بركة حمراء ثخينة هي كل دمك.

حسناً فعلت يا رجل بهروبك من هذه الجمهورية البغيضة ولا أقصد الجغرافيا هذه المرة، فمن السهولة مغادرتها كما فعلتها من قبل، بل قصدت أن تهرب من وجودها في رأسك، رأسك الذي فجروه بطلقتين ضئيلتين. ولو لم يفعلوها يا هادي لبقيت قابعاً في قدرك إلى الأبد.

حسناً فعلت برحيلك إلى أمنا الطبيعة، عارياً كما أتيت إلا من امتلاكك حرية الذهاب، كأي حر آخر في الكون. استرح وانزع عن رأسك المثقوب بقايا جمهورية كاتم الصوت الخالدة. استرح وتأمل موتك العجيب ولا تنس أن تتذكر موتاك الذين هم نحن. وإن قدر لك أن تعيش حياة أخرى فلا تعود إلى قدرك. كن طيراً أو مسرحاً أو كتاباً، كن طفلاً يلهو برمل المجرات، كن صديقاً لنا في بُعدك. لكن إياك أن تعود، فالموتى الذين هناك أرحم عليك من الموتى الذين هنا.

كان بودي الاسترسال في وصاياي إليك، لكني مقيّد بعدد الكلمات التي أقول أو أكتب، مقيّد بمؤقتيتي إزاء بقائك. فأنا مازلت بمواجهة قدري الذي هربت منه أنت.

وداعاً هادي المهدي. مَنْ عرفك نَدِمَ ومَنْ لم يعرفك نَدِمَ أيضاً.

ربما سنلتقي في بستان الله الذي ستمنع من دخوله قاتليك.. لكن ماذا سيفيد هذا بعد أن قتلوك بكراهيتهم؟ كل يوم ومنذ رحيلك أتذكر قول عمّنا بورخس فهو بحسه الكبير قارب هذا حين قال: كل حالة هي كيان مستقل. فلا الانتقام ولا العفو ولا السجن ولا حتى النسيان قادر على تعديل الماضي المتعذر.

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري

ihsanshamran@yahoo.com

الدينار وحذف الأصفار

استمعت باهتمام إلى الندوة التي عرضتها قناة العراقية الفضائية عن موضوع إعادة هيكلة العملة العراقية وحذف ثلاثة أصفار منها. وكنت قد استمعت إلى تصريحات أحد المسؤولين في الدولة الذي يُعارض هذه القضية ويُسوّق الذرائع عن مخاطر الموضوع..

وقد فعلت قناة العراقية خيراً إذ التقت محافظ البنك المركزي العراقي ونائبه والسيد رئيس اللجنة المالية في مجلس النواب..

تقول الفكرة التي يُبشّر بها البنك المركزي إن عملية رفع الاصفار تهدف إلى تقليل أعداد الأوراق النقدية التي يتداولها الناس.

فالبنك ينوي طباعة سلسلة جديدة من الأوراق النقدية تتضمن فئات عالية (٥٠ ديناراً، ١٠٠ دينار و٢٠٠ دينار)،إضافة إلى الفئات الموجودة حالياً بعد حذف أصفارها (٥ دنانير، ١٠ دنانير و٢٥ ديناراً).. وبهذا تصبح الفئات الكبيرة أدوات مهمة لحمل النقود وللادخار ولإنجاز المعاملات المالية الكبيرة.. إذ تصبح الورقة ذات الفئة الكبيرة (٢٠٠ دينار أو ٢٥٠ ديناراً) تعادل نحو (٢٠٠) دولار. وبهذا لا يكون المواطن مضطراً للبحث عن الدولار و(دفاتره). وبإمكانه إنجاز معاملاته بعملته العراقية. أما الفئات الصغيرة (٥، ١٠، ٢٥) فهي تؤدي الغرض بالمعاملات اليومية.

ووجود الفئات الكبيرة من العملة يساعد على تقليل عدد الأوراق التي ستطبع، إذ تعادل آخر فئة نحو عشرة أضعاف أكبر فئة من عملتنا الحالية وهي (٢٥٠٠٠) دينار والتي ستتحول إلى (٢٥) ديناراً. وستختصر فئة الـ (١٠٠) دينار أربع أوراق نقدية من أعلى فئة (٢٥٠٠٠) دينار وتختصر فئة الـ (٥٠) ديناراً فئتين منها.

وتذهب فكرة البنك المركزي إلى قصة أخرى، وهي الأرقام الحسابية الكبيرة التي تملأ أعمدة الموازنات والجداول والميزانيات.. حتى قيل إن العراق هو الدولة الوحيدة بعد أمريكا الذي أصبح يتعامل بالترليون!.. ولا يستفيد الجمهور وحده من عملية تقليل الأرقام الحسابية، بل تستفيد المؤسسات والشركات بعد أن تترشّق معاملاتها وحساباتها بما يتوافق مع الهدف.

ومن ناحية الأهداف النفسية، قد تتمكن عملية رفع الاصفار من إضفاء الثقة بالعملة الوطنية التي ستكون قريبة من حيث القيمة من الوحدة العالمية وهي الدولار.. سيكون الدينار الواحد مقارباً للدولار.. وهي خاصية افتقدناها منذ عام ١٩٨٠ بعد أن بدأ الهوان يزحف لعملتنا الوطنية.

إن ما علق في أذهان الناس من عملية استبدال النقود التي حدثت عام/٢٠٠٣ التي جرت بشكل عاجل وخلال ثلاثة أشهر، لم يجر التركيز عليه من قبل المسؤولين، للتأكيد على مدد الاستبدال التي أوضحها السيد المحافظ.. فبدلاً من ثلاثة أشهر التي استغرقتها العملية عام/٢٠٠٣، يبدو إن هناك أجلاً أطول، وآليات أفضل، وأنظمة رقابة شديدة كما قال النائب حيدر العبادي.. وهذا هو بيت القصيد في المخاوف التي حاول إطلاقها المسؤول الحكومي حتى قبل أن يتداول البنك المركزي مع الحكومة والسلطة التشريعية.. يجب ألا نتناسى عشرات الضحايا الذين سقطوا صرعى الغيلة والغدر وهم يحملون أكياس الدنانير في الأسواق والمؤسسات.. ولا نتناسى ألوف الموظفين الذين فقدوا معاشاتهم وهي في الطريق من المصارف..

إن عمليات استبدال العملة بعملة جديدة ستحقق الكثير، حتى لو كان بعض المكاسب والمزايا للأمة مؤجّلاً حتى حين، لكن الظاهر للعيان أن مقتضيات الشروع بالمشروع أولى من التأجيل.

كاريكاتير عربي

■ عبد الحليم الحمود - جريدة الانتقاد - لبنان

الأغلبية الصامتة وتظاهرات ساحة التحرير

سليمة قاسم

يطلق تعبير الأغلبية الصامتة على شريحة واسعة من الجماهير ممن لاتعبر عن آرائها علنا، وليس لتلك الشريحة دور يذكر في صنع الاحداث، ليس لأنها تميل للكسل والخمول ولكنها تفضل الترقب للحراك السياسي الذي يحدث، كي يأتي حراكها السياسي مدروسا.

وتختلف الأسباب التي دفعت تلك الشريحة إلى اختيار الصمت طبقا لظروفها، فقد يكون الصمت لمصلحة آنية، لحصولها على مكتسبات معينة أو إيمانا منها بعدم قدرتها على تغيير الوضع العام، أو خوفا من بطش الفئة الحاكمة وهم الأكثرية. أما في العراق فشعار الأغلبية الصامتة هو (شعليّه) أي ما دام الأمر لايعنيها فالصمت هو حليفها الدائم، هذا الشعار لم تتخذه مخيّرة بل أجبرتها عليه عقود طوال من البطش والقسوة أوصلتها إلى قناعة أن الصمت هو سبيل النجاة، مضافا إليها فعل الحروب المتتالية والحصار الاقتصادي الذي أدى إلى تدني مستوى الوعي لدى الكثيرين وبالتالي عدم قدرتهم على تمييزما يحدث على الساحة السياسية. الأغلبية الصامتة عندنا لايتذكرها احد عدا موسم الانتخابات حين يتحرك المرشحون لخطب ود تلك الأغلبية،وقد ينساق الكثير منهم وراء تلك الشعارات ويسقطون في فخ الإغراءات التي يقدمونها لهم، فتأتي اختياراتهم عشوائية كنتيجة طبيعية لعدم وضوح الرؤية عندهم. ومن الملاحظ أن الأغلبية الصامتة في العراق كانت تميل بشدة لصالح الأحزاب الدينية التي طرحت شعارات وبرامج رأى فيها الكثيرون تطابقا مع إرادتهم العامة، لكنها اكتشفت بمرور الأيام أن تلك الأحزاب غير قادرة على تحقيق ما تصبو إليه. وفي الوقت الذي خسرت فيه تلك الأحزاب الدينية من رصيدها الكثير لم تنجح الأحزاب العلمانية في ضمها لصفها بسبب عدم قدرتها على جذب المعارضين ببرامج واضحة وجبهة موحدة فظل هؤلاء يراوحون في المنتصف فلا يؤيدون تلك ولا يعارضون هذه، فأصبحوا أغلبية صامتة رغما عنهم. ورغم أن رياح التغيير ضربت العراق قبل غيره من الدول العربية إلا أنها كانت رياحاً مصنعة وبفعل قوى خارجية لم يكن للأغلبية الصامتة فيها دور يذكر.

أما التظاهرات التي اندلعت في ساحة التحرير منذ الخامس والعشرين من شباط الماضي، بتأثير رياح التغيير التي هبت على العالم العربي، فقد اقتصرت على فئة محددة من المتنورين وتكاد تكون نخبوية انضم إليها أعداد من العاطلين والمتضررين الذين لم يطالبوا بإسقاط النظام بل بإصلاحه بعد ثماني سنوات من التغيير حيث فشلت النخب الحاكمة في إقامة نظام ديمقراطي تعددي والنهوض بوضع البلد رغم كل الوعود التي قطعتها في توفير الأمن والأمان وتحسين الخدمات ومحاسبة المفسدين.

وتعتقد الحكومة مخطئة أن الآلية التي جاءت بها إلى سدة الحكم تعطيها حصانة ضد الأصوات التي ارتفعت مطالبة بالتغيير ونسيت أو تناست أن الشعب صاحب الكلمة الأخيرة، وان تلك الأصوات هي التي أوصلتها إلى ما هي عليه الآن، وان حجرا صغيرا يكفي لتحريك المياه في البركة الساكنة. هذه التظاهرات لن تغير الكثير في حال عدم قدرتها على كسب تأييد الأغلبية الصامتة. وسيظل تأثيرها محدودا مثل قطرات الماء التي تغير من تضاريس الجبل ولكن بعد ردح من الزمن. فالأزمة الخانقة التي يشهدها الوضع السياسي والتي تمثلت في اشتداد حدة الصراع بين الكتل السياسية ومحاولات الانفراد بالسلطة وهشاشة الوضع الحكومي واستشراء الفساد والبطالة والجريمة المنظمة يتطلب تخلي الأغلبية الصامتة عن سلبيتها ووقوفها على الحياد، فهي المتضرر الأكبر مما يحدث وتستطيع أن تغير الكثير وتشكل قوة ضغط رئيسية من اجل تصحيح مسار الحكومة قبل فوات الأوان. فالصمت خيار الضعفاء والسكوت يصنع الطغاة.

استراتيجيات التربية الحديثة وإعداد المعلم

حسين علي الحمداني

دائماً ما كنا نطرح في الحلقات النقاشية وورش العمل التربوية مسألة إعداد المعلم وفق آخر مستجدات المناهج التربوية وطرائق التدريس الحديث بما يؤمن وجود معلم متابع لما يحدث في العالم من تطورات علمية وتربوية من الممكن أن تساعده بشكل كبير في مهنته التي تتطلب التواصل والإبداع والمواكبة.

وربما كانت السنوات الماضية لا تسمح بسبب الأوضاع الأمنية من أن تقيم وزارة التربية ومديرياتها العامة دورات تقوية للمعلمين والمدرسين بما يتناسب والمناهج التدريسية الحديثة التي دخلت مدارسنا، ولكننا وجدنا في عامنا هذا وجود بوادر لتطوير المعلم وإعداده بالشكل الصحيح والسليم وهذا الشيء يجعل الكثير منا يتفاءل بالمستقبل.

لهذا فإن التركيز يجب أن يتم في برامجنا لإعداد المعلم أن نحدد ما الذي ينبغي عمله في سبيل إعداد المعلمين لعملهم بما يتلاءم والقرن الحادي والعشرين، فإذا نظر إلى التدريس باعتباره نقل معلومات للتلاميذ، فإن المرء يستطيع أن يقدم الحجج بأن المعلمين لن يحتاجوا لأكثر من إتقان المعرفة بالمادة الدراسية بحيث يستطيعون أن يلقوا دروساً.

ومن السهل لهذا النوع من التدريس أن نخرج المعلمين من كليات الآداب والعلوم،وقد يكون هذا إعداداً كافياً لهم،ولكن إذا كنا في حاجة إلى معلمين قادرين على ضمان تعلم ناضج للتلاميذ الذين يجيئون إلى المدرسة بمستويات مختلفة من المعرفة السابقة، وأنهم يتعلمون بطرق مختلفة، فإن المعلمين في حاجة إلى أن يكونون مخططين يعرفون قدراً كبيراً من المعرفة عن عملية التعلم ولديهم حصيلة كبيرة من استراتيجيات التدريس،خاصة وإن المدرسة العراقية الآن تضم صفوف تربية خاصة، ويافعين،وبطيئي التعلم،وبالتالي فإن مهام المعلم لم تعد تقتصر على التلقين فقط بل تتطلب أن يعرف المعلم احتياجات التلميذ النفسية والصحية وكيفية التعامل معها. ومن يتابع تاريخ التربية سيجد بأن كليات التربية وأقسامها قد تعرضت لنقد شديد خلال القرن الماضي، خاصة بعد أن تم دمج مدارس إعداد المعلمين في أقسام الجامعات، وظهور ما يسمى " توحيد مصدر إعداد المعلم "، ويبدو أن كثيراً من برامج إعداد المعلم تفضل النظرية على التطبيق إلى حد كبير،ومن الانتقادات التي توجه لبرامج إعداد المعلم التقليدية عدم كفاية وقت الإعداد، وطرق التدريس غير المهمة أو السيئة، والتجزئة في المعلومات والعناصر التي يتم دراستها أو منهج التعلم السطحي.

ويشكو العراق من نقص الكفاءة المهنية للمعلمين وقصور خليفتهم العلمية والثقافية واستخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم، وأسباب ذلك معروفة للجميع، منها أسلوب اختيار المعلمين الجدد وتخلف طرق تأهيلهم، وعدم مداومة تدريبهم، وعدم توفر الحافز لديهم،وهذا يعني حاجتنا الماسة إلي تغيير جذري في سياسة تأهيل المعلم العراقي، والتخلص من الأساليب القائمة على التلقين واستبدالها بأساليب التعلم الجديدة القائمة على إشغال جميع حواس التلميذ بعد أن ظل التعليم مقتصراً على حاستي السمع والنظر في العقود الماضية.

والإستراتيجية التي تقترحها لإعداد معلم مدرسة المستقبل تبنى على تحديد معايير علمية وتربوية وثقافية وصحية ملائمة لانتقاء المعلمين تمكن من ترغيبهم بعلمهم وتحفيزهم لتطوير ذواتهم وخبراتهم،وكذلك التدريب الميداني خلال سنوات الدراسة لفترة كافية داخل المدارس، علاوة على شكل فصول مصغرة داخل مؤسسات الإعداد مع الملاحظة المستمرة من قبل أساتذة المناهج وطرائق التدريس، وأيضا مواكبة المعلم نفسه للتطورات التي تحصل في مفاهيم التربية والتعليم ومحاولة تسخيرها في مهنته. ويتطلب الأمر كذلك إدخال مقررات جديدة في المعلوماتية وطرائق استخدام التقنيات الحديثة في التعلم ضمن مناهج إعداد المعلمين. ومن الضروري أن يتم تكثيف الدورات الخاصة بتغيير المفاهيم القديمة إلى مفاهيم وأهداف تربوية جديدة تتلاءم ومتطلبات العصر مع التأكيد على تفعيل دور المعلم ورفع قدراته من أجل تمكينه من أداء مهمته على أكمل وجه. وأخيراً فإنه بالعمل لا بالشعارات، يمكن أن نعد معلماً – معلم مدرسة المستقبل – قادراً على بناء السلوك البشري ومواكبة ثورة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، وأن يحقق مطالب التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية،ولن ننجح في بناء هذا السلوك بدون تنظيم وتنسيق بين المؤسسات التعليمية والتربوية وسائر المؤسسات مثل وسائل الإعلام، الوزارات السائدة لوزارة التربية مثل :الصحة والتخطيط والمالية وغيرها.